

كتاب تاريخ الكنيسة باللغة القبطية الصعيدية

د. صموئيل القس فزمان معوض



مدرسة الإسكندرية

كتاب تاريخ الكنيسة باللغة القبطية الصعيدية

د. صموئيل القس قزمان معوض
قسم القبطيات - جامعة مونستر (ألمانيا)
samuelmo@uni-muenster.de

مقدمة:

في ضوء ما وصلنا من الكتابات التاريخية باللغة القبطية نستطيع أن نقول أن اهتمام الأقباط الأوائل بتدوين تاريخ الكنيسة، بالمعنى الضيق لهذا المصطلح، كان محدوداً، فلم يصلنا باللغة القبطية سوى عمل تاريخي واحد مكون من اثني عشر كتاباً أو باباً مُقسَّمة إلى قسمين: القسم الأول يضم الكتب السبعة الأولى، وهي تعتمد بشكل كبير على تاريخ الكنيسة الذي ألفه أوسابيوس أسقف قيصرية في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي، وبالتالي فهذا القسم لا يقدم معلومات تاريخية جديدة. أما القسم الثاني فيشمل الكتب من الثامن إلى الثاني عشر، ويقدم تاريخاً للفترة المحصورة بين بطيركية البابا بطرس خاتم الشهداء (٣٠٠ - ٣١١) وبطيركية البابا تيموثاوس الثاني (٤٥٨ - ٤٧٧)، أي من بداية القرن الرابع حتى حوالي عام ٤٧٥م، حيث يذكر الكاتب عودة البابا تيموثاوس من المنفى (عام ٤٧٥م)، ولكنه لا يذكر وفاته (عام ٤٧٧م)، مما يدل على أن الكاتب انتهى من تدوين تاريخه بين هذين التاريخين.

وحدثنا في هذا المقال والترجمة التي نقدمها هنا يقتصران على القسم الثاني دون الأول. وفي مقال قادم، إن شاء الرب وعشنا، سنقدم تعليلاً على النص ودراسةً لعلاقته بكتاب "تاريخ البطاركة" العربي.

مخطوطات النص:

عُثِرَ على هذا النص التاريخي في مخطوطتين من دير الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والمعروف بالدير الأبيض، ويرمز لهما عالم القبطيات Tito Orlandi بالرمزين MONB.HY و MONB.FY. وقد وصلتنا المخطوطتان

غير كاملتين، بعد أن ضاعت منهما أجزاءً كبيرة. والمخطوطتان تقدمان نصاً واحداً، مما يمكننا من تكملة بعض الأجزاء في كل نص منهما بمقارنته بالآخر، غير أن المخطوطتين لا تقدمان في النهاية سوى عدة أوراق قليلة من مجموع هذا التاريخ. وأوراق المخطوطتين مبعثرة بين عدة مكتبات ومتاحف عالمية في فيينا والفاتيكان وباريس ولندن ونيويورك وكمبرج والقاهرة.

كذلك توجد ورقة محفوظة في المكتبة الأهلية في فيينا تتحدث عن قصة أرسانيوس معلم أولاد الملوك، وكيف سعى الإمبراطور أركاديوس لإعادته للقصر، بعد ترهيبه في وادي النطرون، دون جدوى. وربما كانت هذه الورقة جزءاً من مخطوطة ثالثة مفقودة كانت تحتوي على نص كامل لتاريخ الكنيسة مثل المخطوطتين السابقتين.

بالإضافة إلى ذلك، تقدم سيرة ومعجزات القديس مرقوريوس من مطلع القرن الحادي عشر اقتباساً من الكتاب التاسع من تاريخ الكنيسة القبطي، وهو يخص موت الإمبراطور يوليانيوس (٤٦١ - ٤٦٣)، حيث يذكر كاتب هذه المعجزات أنه اقتبس معجزة موت يوليانيوس على يد القديس مرقوريوس من الكتاب التاسع من تاريخ الكنيسة، وهكذا نستطيع ضم هذا الاقتباس للشذرات السابقة كجزء من نص تاريخ الكنيسة^(١).

مؤلف النص:

لا يزال كاتب هذا التاريخ مجهولاً لنا، فلا توجد أية إشارة واضحة في

¹ Ed. E. A. W. Budge *Coptic Texts*, 5 vols., London 1910-1915, vol. 5, part 1, pp. 231-248 [coptic text], part 2, pp. 809-827 [translation]; B. Layton, *Catalogue of Coptic Literary Manuscripts in the British Library Acquired Since the Year 1906*, London 1987, Nr. 130, pp. 146-148. See also W. E. Crum, Eusebius and Coptic Church Histories, in: *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology* 24 (1902), p. 70; D. Johnson, *Coptic Sources of the History of the Patriarchs of Alexandria*, Ph. D. diss., Catholic University of America, Washington 1974, pp. 38-39; H. Brakmann, Eine oder zwei koptische Kirchengeschichten?, in: *Le Muséon* 87 (1974), pp. 135-136, 140-142; T. Orlandi, The Coptic Ecclesiastical History: A Survey, in: J. E. Goehring and J. A. Timbie (eds.), *The World of Early Egyptian Christianity: Language, Literature, and Social Context. Essays in Honor of David W. Johnson* (CUA Studies in Early Christianity), Washington D.C. 2007, pp. 3-24. See below note 4.

نظر أيضاً للراهب القس أنطاسيوس المقاري، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية: الكتابات القبطية، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٤٧-٣٤٩.

الأجزاء التي وصلتنا تدل على اسمه أو حتى طبيعة شخصيته إن كان من الإكليروس أو من عامة الشعب، إلا أن المعلومات التي يقدمها في تاريخه تشير إلى أنه كان ذا صلة قوية بالكنيسة، ومن المطلعين على مجريات الأمور فيها. ويدل اقتباسه لعدد من الخطابات الرسمية الخاصة بالأباطرة والبطاركة أنه كان يملك، بحكم مكانته، الاطلاع على هذه الوثائق التي كانت محفوظة في أرشيف الدار البطريركية بالإسكندرية حينذاك، كما أن تناوله لمجريات الأحداث، وطريقة سرده لها، وهجومه على أصحاب البدع والهرطقات، يجعلنا نعتقد أنه كان من الإكليروس أو ربما كان من الرهبان.

غير أن هناك إشارة وردت في كتاب "تاريخ البطاركة" العربي، يمكن أن نستنتج منها أن هذا التاريخ القبطي ربما لم يدونه شخص واحد، بل عدة أشخاص، قام كلٌ منهم بتدوين جزء منه، فبالرغم من أن النص القبطي يتحدث بإسهاب عن بطريركية البابا ديسقورس الأول (٤٤٤ - ٤٥٤) وتاريخ البابا تيموثاوس الثاني (٤٥٨ - ٤٧٧)، إلا أن كتاب "تاريخ البطاركة" لا يورد عنهما سوى عدة أسطر مقتضبة، مما يدل على أن مؤلف "تاريخ البطاركة" اعتمد على نص قبطي يتوقف عند بطريركية البابا كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤). وقد ورد في "تاريخ البطاركة" ما يلي: "بعد ذلك كتب أفريقنوس وأوساويوس (أوسابيوس) ومينا كل التجارب والجهادات التي نال (نالت) الرعاة والشعوب إلى أنبا كيرلس البطريرك الحكيم، وما جرى بينهم وبين نسطور، وما لقيه الأب ديسقورس بعده في مجمع خلقيدونية. ثم افترقت الأمانة الأرثوذكسية والكراسي حتى إنه لم يبق من يكتب سيرة وانقطع ذلك، والرب دائم إلى الأبد. وقد فرغ أن نكتب سيرته (سيرة ديسقورس) الكاملة المفسرة (المتجمة) من ورتاكي (مكتبة) القديس أبو مقار"^(٢).

يبدو أن الأحداث التي أعقبت مجمع خلقيدونية، والاضطهاد الذي تعرض له الأقباط عامة، والإكليروس والرهبان خاصة، من أنصار هذا المجمع، سببت

² Christian F. Seybold, *Severus ibn al Muqaffā, Alexandrinische Patriarchengeschichte von S. Marcus bis Michael I 61-767 nach der ältesten 1266 geschriebenen Hamburger Handschrift* (Veröffentlichungen aus der Hamburger Stadtbibliothek 3), Hamburg 1912, p.75.

ارتباكاً وذعراً في الكنيسة، فلم يتمكن أحدٌ من تدوين سيرتي البابا ديسقورس والبابا تيموثاوس إلا بعد عودة الهدوء والسلام في عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١) الذي أعاد البابا تيموثاوس الثاني من منفاه. تؤكد ذلك خاتمة النص القبطي لتاريخ الكنيسة، حيث يذكر الكاتب تمتع الكنيسة بالسلام والهدوء، ويختم كتابه بقوله: ”والآن قد انتهت كل الانقسامات في الكنيسة [...] مرة أخرى [...] ولم تحدث أي أزمة بعد [...]، بل عمَّ السلام بين كافة الشعوب التي تمقت طومس خلقيدونية“.

مما سبق نستطيع أن نستنتج أنه كانت هناك نسختان من هذا النص القبطي، إحداهما تتوقف بعد بطريكية البابا كيرلس الكبير، والثانية تمتد حتى عودة البابا تيموثاوس الثاني من المنفى. وقد اعتمد كاتب تاريخ البطاركة العربي على النسخة الأولى غير الكاملة؛ لأنه يذكر أنه لم يجد شيئاً يخص سيرة البابا ديسقورس ليكتبه.

ومن اقتباسنا السابق من كتاب ”تاريخ البطاركة“ نلاحظ أيضاً ذكر أسماء بعض المؤرخين، مثل افريكانوس وأوسابيوس، وكذلك اسم شخص يُدعى مينا، يُفترض من السياق أنه هو الآخر قد سجل تاريخ الكنيسة. ولما كان هذا الاسم قبطياً صرفاً، فقد ظن David Johnson وأيدّه Johannes den Heijer أن ”مينا“ هذا هو مؤلف تاريخ الكنيسة القبطي موضوع حديثنا، أو على الأقل قد وضع الجزء الأخير منه. كذلك اعتقدا أنه ربما يكون أحد رهبان الدير الأبيض، حيث إن المخطوطتين الوحيدتين لهذا التاريخ قد عُثِرَ عليهما في هذا الدير^(٣). ومع ذلك فلا ترقى هذه الإشارة العابرة لشخص مينا إلى مستوى الدليل، إنما تظل مجرد قرينة تنتظر دليلاً قوياً يقطع بصحة هذا التخمين.

³ D. Johnson, *Coptic Sources*, pp. 16-17, 54-56, 78; D. Johnson, Further Remarks on the Arabic History of the Patriarchs of Alexandria, in: *Oriens Christianus* 61 (1977), pp. 114-115; J. den Heijer, Coptic Historiography in the Fātimid, Ayyūbid and Early Mamlūk Periods, in: *Medieval Encounters* 2,1 (1996), p. 74.

تحقيق النص:

بدأ الاهتمام بهذا النص التاريخي عندما نشر العالم الدنماركي Zoega عام ١٨١٠م ثماني عشرة ورقة منه في فهرسه الخاص بالمخطوطات القبطية التي كانت في حوزة الكاردينال Stefano Borgia، ثم تبعه آخرون في نشر أجزاء أخرى من نفس النص مثل Crum و Wessely و Girard و Amélineau. بعد ذلك قام العالم الإيطالي Tito Orlandi بجمع كل ما نُشر من القسم الثاني من هذا النص، بالإضافة لأجزاء جديدة، في كتاب من جزأين نشره بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٠م. ثم قام العالم الأمريكي الأب David Johnson بنشر وترجمة نص القسم الأول وبعض أجزاء القسم الثاني في إطار دراسته للمصادر القبطية لكتاب "تاريخ البطاركة"، والتي تقدم بها لنوال درجة الدكتوراه من الجامعة الكاثوليكية بواشنطن عام ١٩٧٣م، وقد أعاد نشر أجزاء من النص القبطي مرة أخرى عام ١٩٧٧م. وفي عام ١٩٨٥م نشر Orlandi أوراقاً جديدة من نفس النص^(٤). وفي عام ٢٠٠٧م نشر Orlandi مقالاً هاماً يقدم فيه تحليلاً وافياً لهذا النص التاريخي الهام^(٥).

ومن بعض الإشارات الواردة في كتاب "تاريخ البطاركة" العربي نستنتج أن هذا النص القبطي لتاريخ الكنيسة لا يتوقف عند البابا تيموثاوس الثاني، بل قد أضاف عليه وأتمه أشخاص آخرون وباللغة القبطية أيضاً، حيث قام كلٌ منهم بتدوين تاريخ الكنيسة في الفترة التي عاصرها، وذلك حتى حبرية البابا شنودة الثاني (١٠٢٢ - ١٠٤٦). ولكن، للأسف، لم يُكتشف حتى الآن سوى النص الذي ينتهي بحبرية البابا تيموثاوس الثاني. ولما تراجع استخدام اللغة القبطية، قام

⁴ D. Johnson, *Coptic Sources*, pp. 87–139; T. Orlandi, *Storia della Chiesa di Alessandria* (Testi e documenti per lo studio dell'antichità 17, 31), Milano 1968–1970; D. Johnson, Further Fragments of a Coptic History of the Church: Cambridge OR. 1699 R, in: *Enchoria* 6 (1976), pp. 7–17; T. Orlandi, Nuovi frammenti della *Historia ecclesiastica copta*, in: S. F. Bondi et al. (eds.), *Studi in onore di Edda Bresciani*, Pisa 1985, pp. 363–383. See also Th. Baumeister, Koptische Kirchengeschichte. Zum Stand der Forschung, in: Marguerite Rassart and Debergh and Julian Ries (eds.), *Actes du IV^e congrès copte, Louvain-la-Neuve, 5–10 September 1988*, New Leuven 1992, vol. 2, pp. 115–117; Brakmann, Eine oder zwei koptische Kirchengeschichten?, pp. 129–133; T. Orlandi, The Coptic Ecclesiastical History, pp. 6–7.

⁵ T. Orlandi, The Coptic Ecclesiastical History, pp. 3–24.

الشماس الإسكندراني موهوب بن منصور بن مفرج في القرن الحادي عشر بجمع ما كُتِبَ قبله باللغة القبطية، بما فيه النص الذي بين أيدينا، وترجمه (بتصرف) إلى اللغة العربية حتى يكون مفهوماً عند الأقباط. بعد ذلك استكمل موهوب ومن جاء بعده تدوين تاريخ الكنيسة، بدءاً من البابا خرستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧)، باللغة العربية مباشرة، وهذا هو موضوع مقالنا القادم.

ترجمة النص القبطي الصعيدي:

[الكتاب الثامن]

حرم البابا بطرس خاتم الشهداء لأريوس^(٦)

[... أريوس [...] الاثنتين] مقاومين الكنيسة [...] لومحاربين] القديس بطرس.

ولما أعلموا بطرس أن ميليتيوس صار مع أريوس مثل أختيوظل مع أبشالوم (٢ صم ١٥: ١٢ إلخ)، أرسل لهما حرمهما هما الاثنتين فوراً، وصيرهما ومن معهما غرباء عن كل قانون الكنيسة؛ لأنهم تعدوا الحد الذي وضعه لهم بطرس. أما الذين بقوا ولم يعودوا يخالطون ميليتيوس ولا يتبعونه فقد قبلتهم الكنيسة إليها، أولئك الذين كانوا قد أخذوا وضع اليد منه سابقاً قبل الحرمان. أما الذين ذهبوا معه فلم يُقبَلوا، ولم يكن (لأحدٍ) معهم شركة، بل دُعِيو هراطقة، حتى يتم تمييزهم (عن المؤمنين) إلى هذا اليوم.

ولما أمسكوا بطرس، حبسوه بأمر الملك من أجل إكليل الشهادة. فرأى رؤيا أن المخلص يقول له: "هو ذا قد أعددتُ لك إكليل الشهادة، علاوة على إكليل رئاسة الكهنوت، فمُرُ باسمي أن يأخذ أخيلاس (أرشيلالوس) كرسيك، وبعد ذلك ألكسندروس كبير الكهنة، وأوصهما (بذلك) [...] أريوس [...] شعب [...] هذا [الذي] سفكتُ دمي عنه".

أما بطرس فاستدعى - كما أمر - ألكسندروس وأخيلاس، وأمرهما بكل كلمة قالها له الرب. وتنيح بطرس ككلمة الرب، ونال إكليل الحياة الأبدية.

^٦ العناوين الجانبية من وضع المترجم.

أما أخيلاس [...]]

[الكتاب التاسع]

قسطنطيوس الثاني يستميل ألكسندروس أسقف القسطنطينية لقبول أريوس

[...] اعتزل. فقال ألكسندروس للملك (قسطنطيوس الثاني): "هل صار حرم أريوس بواسطة الكنسية فقط؟ فما ثبته لهو أمر مستحدث. لأن أباك الملك (قسطنطين الكبير) قد وقّع حرمه وأعلنه بواسطة حاكم المقاطعة. وإذا أنت بحثت، فسوف تجد الوثائق. لأن هذا الأمر بالنسبة لي ليس بالخطر الهين أن أنقض أمراً قد أصدره الملك، ولا سيما أنه (أريوس) قد صار تحت حرمان أبيك في المجمع الذي دعانا إليه في نيقية". فلما سمع الملك هذا، تراجع بسبب أخيه قسطنس حتى لا يجد عليه علةً أنه نقض قرارات الملك فيقوم عليه. حينئذٍ صرف ألكسندروس، فذهب إلى مدينته، بينما ظل أريوس محروماً. أما هو (أريوس) فقصد أن ينال مجد البيعة بالتمام بواسطة سلطة الملك، هذا الذي رشاه بالمال.

نياحة البابا ألكسندروس بطريرك الإسكندرية وتجليس أثناسيوس الرسولي

أما ألكسندروس فتتبع بشيخوخة صالحة، كاملاً في نعمة الله. وكان قد أمر الإكليروس أن يجلسوا الشماس أثناسيوس مكانه. أما هم ففرحوا؛ لأنهم كانوا يحبونه؛ لأنه كان يخرج ويدخل عند كل واحد (آع ٩ : ٢٨). ولما جلس هذا على كرسيه في الإسكندرية، جدّد على الفور حرم أريوس، وقرأه على كل الشعب في وسط الكنيسة. فلما سمع أريوس بهذا، اشتعل غضباً من الحنق والحسد. حقاً، لقد كان غارقاً في كل تجديف مثل أوريجينوس وبورفيريروس. أما روح الكنيسة [...]

قسطنطيوس الثاني يأمر ألكسندروس أسقف القسطنطينية بقبول أريوس

زيّن (أريوس) الحديث بكلمات بسيطة من الكتاب المقدس [...] وتحدث، ثم أقسم قائلاً: "كلاً". فقال الملك لألكسندروس: "ماذا تريد أن تسمع أكثر من هذا؟" فقال ألكسندروس: "لقد أمرت أن يُنْفَى أثناسيوس لأنه قرأ وثيقة حاكم المقاطعة (أمام الشعب). فمُر أن يرسلوه إلى الإسكندرية، وإذا لم يحدث

لأريوس شيء حتى يوم الأحد فسوف نقبله؛ لأننا بهذا سوف نعلم أن المسيح تصالح معه، ونقيم معه القداس“. أما الملك فتصرف هكذا: أمر أن يعود أثاسيوس إلى مدينته، ويجلس على كرسيه.

موت أريوس في القسطنطينية بحضور ألكسندروس أسقفها

كان أريوس في انتظار القداس الذي سيقام يوم الأحد. ولما حلَّ يوم الأحد، تجاسر، ودخل، وجلس على كرسيه ككاهن. أما ألكسندروس والذين معه ففضوا ذلك الأحد بكامله وهم يصومون ويصُكُّون، طالبين من المسيح: ”لا تجعل هذه الخطية تصير بواسطتنا“. لأن الملك كان قد قال له (لألكسندروس): ”إذا لم تقبله بعد هذه الأقسام سأغرِّم البيعة وأحسرها مثقال ذهب لخزانة الملك“. وفي يوم الأحد، حيث كان كل الإكليروس والشعب مجتمعين في الكنيسة، كان أريوس أيضاً هناك حيث كان مُقرَّراً له أن يخدم على المذبح مع الأسقف. فلما أوشك القراء على نهاية القراءات، حتى قرأوا الإبركسيس، وخرج الأسقف، تحركت أحشاء أريوس حيث كان جالساً في السينهدريون (مكان الكهنة)، فبحث ليذهب فيتغوط. فقام في السينهدريون، وذهب للمكان المقصود، وجلس. وهكذا فجأة انسكبت كل أمعائه وما في أحشائه، وظل جالساً يابساً، لا نفس فيه ولا نسمة روح.

ولما تلا (الكهنة) الصلاة الخاصة بالأسقف، وكان عليهم - حسب الطقس - أن يخرجوا، بحثوا عن أريوس لكي يأتي هو أيضاً معهم للقداس، فلم يجده. أما الأسقف فتأبر وقتاً طويلاً وهو ينتظره، حسب الاتفاق الذي أبرمه مع الملك. وبعد أن فتشوا في كل مكان في الكنيسة باحثين عنه، وجدوه جالساً يابساً في زاوية، وكل أحشائه قد خرجت من تحته، فأعلموا الأسقف. فتعجب (الأسقف) من مجد المسيح، هذا الذي حكم سريعاً على اليمين الكاذب. ولم يعط كلمة لعبيده الأساقفة للخزي: بطرس، وألكسندروس، وأثاسيوس، وألكسندروس الآخر (أسقف القسطنطينية). والذي حلَّ انتقامه في الحال.

فاستمر (ألكسندروس) في إقامة قداسه في مسرة ورعدة عظيمة، وأعلم

أثناسيوس بذلك. فكتب (أثناسيوس) رسالة إلى الإسكندرية، قائلاً: ”سنصل -
بمشيئة الله - بعد (وصول) هذه الرسائل“.

جيورجوس الأريوسي يغتصب كرسي الإسكندرية، ومقاطعة الشعب له

وبعد أن مات أريوس هذه الميئة المفزعة، لم يتوقف الملك عن شططه؛ لأنه
كان لديه هناك خلفاء أريوس الذين كانوا أشراً منه، أي جيورجوس
ولوكيوس وآخرون معهما. هؤلاء ظلوا ينهبون كنيسة الإسكندرية. فأعطى
جيورجوس للملك أموالاً طائلة، فأعطاه خمسمائة جندي حتى يجلسه على
كنيسة الإسكندرية؛ لأنه أراد أن يقتل أثناسيوس، ولكن الله انتشلته من
وسطهم. فتسلط جيورجوس على كنيسة الإسكندرية ست سنوات، وأرسل
أيضاً أساقفة لكل مدينة لينشروا تجديف وباء أريوس أن المسيح مخلوق.

أما الشعب في كل أنحاء مصر فلم يكن يحضر القداس معه، بل كانوا
يقيمون القداس في البيوت مع الكهنة (الذين سيموا) بيد أثناسيوس وأبيه
ألكسندروس. لأن جيورجوس دخل الكنيسة وقتل - بيد الجند - الشعب الذي
وجده تابعاً لأثناسيوس، حتى بلغت دماؤهم إلى ركبهم، ونهبوا ممتلكات
الكنيسة، وسرقوا النذور^(٧)، ودنسوا العذارى. وتمم الأريوسيون تعديات مهولة
في كنيسة الإسكندرية.

واختبأ أثناسيوس حتى لا يقتله الأريوسيون. أما الشعب فكان مختبئاً في
أماكن مقفرة، ويتقربون في المغارات وفي وسط الحقول حتى الصعيد، ولم
يجتمعوا في أي مكان كان فيه الأريوسيون.

وكان سيرابيون أسقف تيمي وكيلاً عن أثناسيوس، وكان يكتب للشعب
ليتحفظوا لأنفسهم من مشاركة الأريوسيين.

محاولة التخلص من القديس أثناسيوس، ونجاته، وعودته للإسكندرية

وبعد ست سنوات تحدث أثناسيوس إلى الملك، معتقداً أنه سيتمنحه إكليل

^٧ أو: الأدوات الموقوفة على الكنيسة (ἀναθήματα).

الشهادة. ولكن الملك أمر أن يصعدوه إلى قارب ليس به ماء ولا خبز ولا إنسان يساعده [...] من البحر. فحفظ الله صفيه وأرشده. وبعد ثلاثة أيام وصل الإسكندرية، فخرج الشعب إلى الشاطئ ووجدوه، فرتلوا أمامه المزامير، وأخذوه إلى الكنيسة، وطردها جيورجوس وعبادته المقززة من الكنيسة، وعيّد أثاسيوس مع كل مصر حيث احتفل الشعب والأديرة يومياً.

غريغوريوس الأريوسي يتسلط على كنيسة الإسكندرية

وأيضاً بعد سبع سنوات جاء آخر يسمى غريغوريوس إلى الإسكندرية مع ألفي جندي. فمضى نحو الكنيسة، ونهبها، وتسلط (عليها) أربع سنوات. وكان قد قبضَ على أثاسيوس، وسلّم إلى الملك. فسلمه الملك لشخص وثني مخالف يُسمّى سوثوس أن "أقتله". فعمد سونوس أن يقتله، هو وليبيروس رئيس أساقفة روما وديونيسيوس الأنطاكي، آباءنا في الإيمان. ولكن الله نجاهم من أيديهم، وأرسل كاروبيمًا، وخلصهم من موت محقق.

وبعد هذا، جذب ليبيروس أثاسيوس وأخذه معه إلى روما حتى مات قنسطنطيوس وملك قنسطنس، وهذا كان أرثوذكسياً. وفي الحال استدعى أثاسيوس وأجلسه على كرسيه.

ظهور الصليب في أورشليم

وفي ذلك الزمان كان كيرلس أسقفاً لأورشليم. وظهرت أعجوبة عظيمة في السماء فوق قبر المسيح من الساعة الثالثة من النهار حتى الساعة التاسعة: وقف صليب نوراني عظيم فوق قبر المخلص أمام كل إنسان مؤمن وغير مؤمن، حتى إن كل الجموع التي كانت تسكن حول أورشليم اجتمعت مع طعامهم وخمرهم، فأكلت وشربت حول الصليب حتى صعد إلى السماء في الساعة التاسعة، بينما كل عين تشخص نحوه. فدوّن كيرلس أسقف أورشليم المعجزة التي حدثت، وأرسل رسالة إلى الملك قنسطنس، هذا الذي كان مجباً لأثاسيوس. أما أثاسيوس فساس كنيسة الإسكندرية خمساً وعشرين سنة أخرى متوالية، دون أن تقوم عليه أية حرب، لأنه أمضى اثنتين وعشرين سنة في

الأسقفية وفي النفي.

ارتداد الإمبراطور يوليانوس واضطهاده للمسيحيين

وبعد أن مات قنسطنس، ملك مكانه يوليانوس، وهو وثني مخالف. وكان من ذرية أخت قسطنطين الكبير، لأن زوجها كان وثنيًا. ورأى أبناء قسطنطين أن الصبي عنيد، فخشوا أن يسلبهم ملك أبيهم. فأخذوه صغيرًا وسلموه للكنيسة، وجعلوه قارئًا. ولكن أقارب أبيه ربُّوه على الوثنية. وبعد أن مات قنسطنس، صار يوليانوس ملكًا مكانه، واعتنق الوثنية. وفي الحال سعى لفتح المعابد الرسمية. أما (يوليانوس) هذا فقد بقي في بلاط أنطاكية؛ لأنه لم يستحق أن يسكن في مساكن قسطنطين. فذهب إلى مسكن الوثنيين وأوثانهم، وأخذ صقرًا، وأعطاه للكاهن (الوثني) الذي أصعده قريبًا للشيطان، ونزع الكبد وأعطاه له (ليوليانوس) فأكله.

[...] يوليانوس ابن أخته. فاستأمنه على الملك. ولما رأى اليوم المعين^(٨) لخاله، قبض على القديس ثيودوريكوس، الكاهن ومدبر البيعة، وقتله. ثم أتى وأعلم يوليانوس. أما هو فغضب وقال: "لقد أزعجتني. فأنا لا أريد أن أقتلهم، لئلا يفتخروا قائلين: 'لقد صرنا شهداء بفضلك'. ولكن متى عدتُ من بلاد فارس، سأصدر ضدهم قانونًا: ثلاثة هولوكوتينوس (دينار) من كل فرد من الوثنيين - أي المسيحيين - في السنة، أما من البوليوتيس ثلاث أوقيات (فقط)". وكان يفعل ذلك ليُضيق على المسيحيين بكل السبل.

وفي ذلك الزمان كانت الكنسية ثرية بقوة لابسى الروح، وكانت محمولة على أربعة أعمدة، هم: أثناسيوس في الإسكندرية، وأنطونيوس وباخوميوس في الصعيد، وباسيليوس في كبدوكية.

القديس باسيليوس أسقف قيصرية يقاوم يوليانوس

وكان باسيليوس صديقًا ليوليانوس بسبب (فترة) الطفولة التي قضياها معًا

^٨ ربما يقصد يوم تتويجه.

في المدرسة. فلما سمع (باسيليوس) عن أعماله الشريرة، ذهب إليه مع بعض خدام الله من شركائه الأساقفة. فلما دخلوا إليه، نظر ملابسهم الرهبانية المتواضعة ولحاهم الطويلة، فقال لهم: "ماذا تطلبون؟" فأجاب باسيليوس: "نطلب راعياً صالحاً يرعا(نا)". فقال لباسيليوس: "وأين تركت ابن النجار وأتيت إلى هنا؟" فقال له: "تركته يصنع لك تابوتاً لتلقى فيه". فقال له الملك: "لو لم أؤمن التفكير أنك صديقي لجعلتهم يقطعون رأسك". فقال له باسيليوس: "أنت لم تمنع التفكير؛ لأنك لو كنت أمنت التفكير، لما كنت تركت عنك الحكمة التي علمتها، عندما كنت قارئاً في كتب الحكمة الحقيقية". فقال له الملك: "لقد قرأتها وفهمتها". فقال باسيليوس: "ما قرأتها جيداً ولا فهمتها ألبتة؛ لأنك لو كنت فهمتها، لما كنت ردلتها". فقال لهم الملك: "سأعتقلكم حتى أعود من فارس، وسوف تعلمون ماذا تعني مقاومة الملك. وسوف تتجرعون العذاب في الحبس". فقال باسيليوس: "لو ذهبت إلى فارس وعدت فما تكلم الله بواسطة باسيليوس". حينئذ قال الملك يوليانوس: "ماذا أصنع بهذا الجليلي الكذاب؟ لأنه قال في نفسه: 'لا يبقى حجر على حجر في هيكل اليهود' (مت ٢٤: ٢؛ مر ١٣: ٢؛ لو ٢١: ٦). أما أنا فسأبنيه بناءً مُلوكياً، وأجعل كلامه كذباً، حتى يعرفوا أنه كذاب". ثم أمر بحبس باسيليوس والاثنين اللذين كانا معه في السجن، ورحل هو إلى فارس. ثم مرَّ بأورشليم ونظر حطام الهيكل. ولم يكن هناك أي سور يحيط به، بعد أن هدمه فسباسيانوس أثناء الإبادة التي ألحقها باليهود. فأمر (يوليانوس) أن يُكسَّس حتى يُبني أعظم (مما كان).

[الكتاب العاشر]

العثور على رفات أليشع النبي ويوحنا المعمدان وإرسالها للإسكندرية

وعين يوليانوس بطريقاً (κομμε) على الهيكل ليكنسه ويضع أساساته وبينيه. أما هو (يوليانوس) فرحل إلى فارس للحرب، وترك القديسين في السجن. ثم كنسوا حطام الهيكل، ولم يتركوا فيه حجراً على حجر، كقول الرب، ثم شرعوا في البناء. فكانوا يبنون من الصباح حتى المساء، وعندما يعودون في الصباح يجدون ما بنوه مُتهدماً بغير يد بشرية. فظلوا يواصلون (العمل) لمدة

شهرين وهم يعانون دون أن ينجزوا شيئاً ، كما لو أن عناية الله هي التي كانت تعرقلهم. فأخبرهم اليهود الذين كانوا هناك، (قائلين): ”أحرقوا القبور التي يرقد فيها المسيحيون، حينئذ تقدر أن تنبوا“. فسمعوا لهم وحرقوا القبور. ولكن لما وصلوا إلى قبر يوحنا المعمدان وأليشع النبي لم تمسهما النار. وعلى الرغم من أن النار ظلت مشتعلة حولهما أياماً كثيرة، لم تؤثر فيهما النار. فذهب بعض الإخوة (المسيحيين) إلى البطريق، وأعطوه مالا، وأخذوا يستعطفونه حتى اقتنع (أن يسمح) لهم أن يأخذوا عظام القديسين. أما هو فأخذ المال وفعل كما أخبره، وصرح لهم أن يأتوا ليلاً ويأخذوا عظام القديسين يوحنا المعمدان وأليشع النبي. أما هم فكانت يد الرب معهم، فأتوا ليلاً وأخذوها وهربوا بها. ثم طلب منهم أن يحضروها إلى مصر لتسلم لأثناسيوس؛ لأنه كان مشتاقاً أن يراها. فأتوا إلى البحر، ووجدوا سفينة في الحال. فركبوا وأتوا إلى الإسكندرية بسهولة. فسلموا (الرفات) إلى أثناسيوس، ففرح بها كما لو أنه رأها في الجسد. فخبأها في حجرة المعمودية، وكان ينتظر فرصة (مناسبة) ليبنى لهما مزاراً.

وذاذ يوم، بينما كان يأكل في بستان آبائنا - لأنه كان يوماً يدعو أراخنة الكنيسة فيأكل معهم، وهؤلاء كانوا يأتون إليه، ليس فقط لأنهم كانوا يريدون أن يأكلوا، ولكن ليستمعوا إلى كلمات الحكمة التي أعطها له الله، كما هو مكتوب: ”ذلك الإنسان يفعل كل شيء لمجد الله، إن كان في وقت الصيام أو وقت الأكل والشرب، فيأكل ويشرب من كلمة الله في كل حين“. فلما كان يأكل ويشرب مع الإكليروس وبعض أراخنة الكنيسة الخييين (المجتهدين) في البستان، في الحي الذي يدعى ”هرميس“ في جنوب المدينة، الذي يقع على أكوام قمامة وأطلال، قال: ”إن وجدت وقتاً (مناسباً)، سأزيل هذه الأكوام، وأبني مكانها مزاراً ليوحنا المعمدان“. وكان ثيوفيلس في ذلك الوقت قائماً عند المائدة يأكل؛ لأنه كان كاتبه. فسمع الكلمة التي تكلم بها الروح إلى أثناسيوس، وحفظها في قلبه.

موت يولييانوس في الحرب ضد الفرس

أما يولييانوس، فحسب ما جذبه ليذهب في غضب، مضى إلى فارس. فأسلمه المسيح الإله لأيديهم؛ لأنه ترك القديسين محبوسين ومضى إلى فارس. أما الميتة التي مات بها فكانت هكذا: أبصر في الليل جمعاً من الجند آتين نحوه من الفضاء، فضرته حربة عند كليتيه، فعرف أنهم القديسون. عندئذ أخذ دمه، وقذفه بيده عالياً نحو السماء، قائلاً: "خذه، يا يسوع، مني، فقد أخذت المكان (العالم) كله". وبعد أن جدف سقط في الحال. وأرشد الله شعبه، وأوصل الروم إلى موقعهم سالمين.

وكان باسيليوس، قبل موت يولييانوس بثلاثة أيام، قد رأى حلمًا في السجن. فلما استيقظ أخبر أخويه، قائلاً: "لقد رأيت هذه الليلة الشهيد القديس مرقوريوس وهو يدخل إلى مزاره ويُخرج رمحه، قائلاً: 'هكذا سأعامل هذا المخالف؛ لأنه يجدف على الله'. ولما قال هذا، ذهب وما عدتُ أبصره". حينئذ أجاب الأخوان الآخرون: "حقاً، لقد رأينا نحن أيضاً نفس هذا الحلم". ولما أدركوا كنه ما أعلمهم به الله، آمنوا وقالوا لبعضهم البعض: "فلنرسل إلى مزار القديس مرقوريوس ونرى إن كان الرمح موضوعاً في مكانه أم لا". فأرسلوا فلم يجدوه، فأمنوا بالحلم.

الإمبراطور يوفيانوس يخلف يولييانوس

وبعد ثلاثة أيام أرسلوا رسائل إلى أنطاكية أن الملك مات في الحرب. فوضع كل البرلمان (ΣΥΝΚΛΗΤΟΣ) - بواسطة اقتراع إلهي - أيديهم على يوفيانوس، ونصبوه ملكاً عوض يولييانوس. وكان رجلاً مؤمناً وتقياً منذ حداثة. وفي الحال أطلق القديسين، باسيليوس عمود الحق وأيضاً أخويه. ولم يعد يولييانوس كقول باسيليوس [...] كقول ميخا النبي. لأن هذا الإله بالنسبة لهم جميعاً هو (الإله) الوحيد؛ لأنه هو الصانع الخير في كل زمان، والسامع للذين يدعونه بحق. عندئذ أعطاهم يوفيانوس هدايا ثمينة ثم صرفهم إلى محل إقامتهم. وتوجه (يوفيانوس) إلى الكنيسة التي في أنطاكية وحضر القداس [...] آباء [...] هدايا عظيمة للكنيسة.

عودة القديس أثناسيوس الرسولي من المنفى

وكتب (يوفيانوس) إلى أثناسيوس رسالةً مملوءة تعزية ومسرة وافتخاراً بالمسيحيين، قائلاً هكذا: ”يا أثناسيوس، شهيد المسيح والكاهن المؤمن، مملكتي ستريحك. والآن، تشجع، وامسك صولجان الكهنوت، وتعقب قطع الذئب الشريرة الممتلئ فمهم سماً ولعنة ومرارة وغشاً، قاتلي النفوس“. وقرأت هذه الرسالة في كنيسة الإسكندرية، ثم أُرسِلت إلى كل (أنحاء) مصر لشدة أذى الكنائس. حينئذ لم يقوَ الأريوسيون أن يبقوا في أي موضع. وتوجهوا مراراً كثيرة إلى الملك ليشتكوا على أثناسيوس رئيس الأساقفة. أما هو، فلأنه كان عالماً بشروهم، فقد اعتاد أن ينخس حصانه ويواصل السير دون أن يلتفت إليهم مطلقاً.

وشاخ أثناسيوس وضعف وهو جالس على كرسيه، والشعب يثمر، والعداوى يؤدين عبادتهن طوال أيام (حياتهن). وكانت الجبال مسكونة (بالنساك)، والوديان ممتلئة بالأديرة وعامرة بالرجال القديسين والنساء القديسات.

ولكن مع مرور (الوقت) [...] من فم الله، كلمات ملتبهة كنار، وقوية كالسيف، وحلوة كالشهد. وألّف (أثناسيوس) ما يلي: قال مقالات عن البتولية، وأخرى عن الفصح مملوءة إيماناً حياً. وفسر الخروف الذي ذبحه العبرانيون في مصر [...] [كهنة] الكنيسة. وكتب أيضاً عن [...] محبة المال أن [...] وكذلك كتب عن الرحمة والحكم. وكتب أيضاً عن النفس أن المسيح تأنس لأنه أحبنا. لأنه لم يكن لزاماً عليه أن يتضع إلى هذه الدرجة، غير أنه أحبنا. وكتب أيضاً عن الإيمان، وألّف ثلاث مقالات، وكتب لنا رسالة وهو في النفي دعا فيها بولس: ”معلمنا بولس الرسول“. كذلك كتب عن ملكيصادق [...]

[...] مرض موته، قال: ”إن وجدت دالة عند المسيح الإله، فلن أتوقف عن السجود عند قدمي المخلص حتى يرسل فيغلق باب السيرابيوم“. وشهد إكليروس الإسكندرية أنه قبل مُضي سبعة أيام أرسل يوفيانوس ونزع باب موضع الأوثان هذا.

نياحة القديس أثناسيوس الرسولي وجلس البابا ثيوفيلس

ثم تيح (أثناسيوس) حقاً ومضى لأولئك (القديسين)، وجلس ثيوفيلس على كرسي الإسكندرية. وكان حكمه مستقيماً جداً أمام الله والناس. فأرسل إلى أورشليم وأحضر رهباناً وأرسلهم إلى كانوبوس؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يخرجون هناك وقيمون شعائرتهم. فلم يقدر رهبان أورشليم أن يقاوموا قسوة الشياطين وهربوا؛ لأنهم لم يكونوا متمرسين في النسك. فأرسل ثيوفيلس إلى صعيد مصر، إلى أديرة الأنبا باخوم، وأحضر نساكاً مختارين. هؤلاء طردوا الشياطين بقوة النسك والصلاة المتواصلة، وصيروا كانوبوس مسكناً لكل راهب يرغب (في ذلك). أما ثيوفيلس فربطهم (بالحرم) ليأكلوا معه. وكان يتناول معهم الطعام كل يوم أحد. ولما ترددوا، تحنن عليهم، لأنه كان عليهم أن يأتوا من بعيد بسبب القانون (الموضوع عليهم) ليأكلوا (معه) خبزاً. ومنحهم بستان أبيه أثناسيوس، هذا الذي ورثته الكنيسة مع كل ممتلكاته. فلما حصل الإخوة (الرهبان) على البستان، جعلوا منه مسكناً لهم، وبنوا فيه كنيسة، إلا أنهم جعلوا هذا (المسكن) والبستان قبلي الكنيسة.

البابا ثيوفيلس يشيد كنيسة لرفات يوحنا المعمدان

وتذكر ثيوفيلس الحديث الذي قاله أبوه (أثناسيوس) عن موضع يوحنا المعمدان؛ لأنه كان قد أصبح يحتكم على أموال طائلة. وأمر الملك أن تُسَلَّم له (لثيوفيلس) مفاتيح المعابد، وعثر على أموال كثيرة. وحسب كلمة الله ورغبة عبده أثناسيوس شيد المزار مقابل بستان أثناسيوس، وزينه بزينة عظيمة، في حين ساعده الملوك وأراخنة مصر وأرسلوا له هدايا، ذهباً وفضةً وحجارةً كثيرةً غالية القيمة تبرعوا بها لبناء الموضع المقدس. وكانوا سعداء به في كل البلاد، ولا سيما عظماء التجار الذين يسافرون إلى الهند والبلاد البعيدة، وأحضروا له كل الاحتياجات. ثم بناه (المزار) وأكمله وزينه مثل عروس تزين لتسلم لعريسها. وبعد أن أكمله، وضع فيه عظام المعمدان. وقد ظهرت عجائب عظيمة عند نقل عظام سابق المسيح. وأصبح ملجأً لكل متعب، وأبرأ المرضى، صانعاً قوات كثيرة عظيمة مثل التي صنعها المخلص لما كان بيننا، معلناً نفسه، بواسطة هذه العجائب، أنه أيضاً خادم المسيح.

أما ثيوفيلس فقد كتب أيضاً مقالات عن الإيمان، وتحدث فيها عن حبل العذراء، هذه التي ولدت لنا الله الحقيقي، وكان يُعلم بالبقاء دائماً في معرفة الإنجيل. وكل قصة البناء، وكيف وجد العظام، وكيف أبصر القوات التي صنعها السابق، فقد دُونها لمنفعة كل محبي التعلم.

وملك يوفيانوس سنتين ورقد مع آباءه. وجاء مكانه ولداه فالينس وفالينتينيانوس، وكانا رجلين مؤمنين ومحبين لله.

فيلبس أسقف أنطاكية

وفي تلك الأيام لاحظ فيلبس أسقف المشرق أن كبار الموظفين في دمشق وثيون وهراطقة، ولا يوجد بينهم أرثوذكسي. وإذا دعت الحاجة في ذلك الزمان وأتاهم شخص أمام القضاء لسبب مادي، وقُدِّم هذا (الشخص) للسلطات، وسُلم لأيدي الموظفين أو الجنود، أناس أعداء للكنيسة، فإن كان المتهم علمانياً أو كان بالأخص من الإكليروس، كان يُضرب بسبب الأمور المادية وتساء معاملته كما في (زمن) الاضطهاد، ويُطالب بما ليس عنده؛ لأنه لم يكن هناك من أبناء الكنيسة من يُقبل على التجنيد؛ لأنه كانت توجد وصية من الرسل قد وضعوها في قوانينهم ألا يذهب أحدٌ من المسيحيين ليتجنّد. ولهذا السبب استشهد الكثيرون وقُتلوا؛ لأنهم لم يصبحوا جنوداً.

ولما لاحظ الأسقف فيلبس الضيق الواقع على شعب الله بواسطة أعدائهم، تضايق في نفسه، ونظر إلى الوصية التي أعطها الرسل حماية للشعب حتى لا يُغرَّر به. فقام وأبصر الظلم الواقع على الإخوة (المسيحيين)، ثم نهض بروح الله ومضى ذاهباً إلى الملكين فالينس وفالينتينيانوس، وأخبرهما بما حدث وما رآه. كذلك أعلمهما بالوصية التي وضعها الرسل (قائلاً): ”من أجل ذلك ابتعد كثيرون عن المناصب العليا. والآن، ألتمسُ من جلالتكما أن تأمرا بخصوص تلك الوصية التي أعطها الرسل أن تُنقَض - من أجل ذلك فلا لوم عليهم - واجعلا اللائمة عليّ، واكتبا إلى كل مكان لكي يُعيَّن كلُّ من يرغب في كل المناصب العليا، حتى يجد أبناء الكنيسة من إخوتهم من يساعدهم في البلاط“.

فلما رأى الملكان المحبان للمسيح، فالينس وفالينتينيانوس، محبة البشر التي

عند فيلبس، واهتمامه، تعجبا منه. وهكذا، كما تحركا بواسطة الروح القدس، أطاعا كلمة فيلبس، وأصدرا قانوناً كالتالي: ”الحاكمان فالينس وفالينتينيانوس، اللذان يحكمان بسلطة المسيح، يكتبان إلى الأمم التي تحت سلطانهما. سلام. فيلبس أسقف المشرق [...]“

[الكتاب الحادي عشر (٩)]

القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك

[...] كلمة. فأقتعوه بذلك. فأخذ (أرسانيوس) أخته العذراء وعبده الثلاثة معه، ثم أرسلوه إلى القسطنطينية عند ثيودوسيوس. فلما رآه الملك، سُرَّ، ومنحه مسكناً بجوار القصر الملكي، وأعطاه ولديه، وطلب منه بتواضع، مثل إنسان مسكين، قائلاً: ”لقد أرسلتُ خلفك من مملكة إلى أخرى من أجل خلاص نفس ولديّ. ولم أرغب أن أعهد بهما لأي سفسطائي أو لغوي؛ لأنهم لا يعرفون الحكمة الإلهية. وهذا هو ما أريد أن يستوعبه أبنائي بجانب الفصاحة. والآن، هو ذا كل القصر تحت تصرفك. سأسلمك ولديّ، فربهما بحسب الله وكرامة مُلكنا من أجل مجد أجداد أهمهما. لأنني لا أسعى لشيء سوى كيف أرضي المسيح، هذا الذي أنعم عليّ بسلطان هذا المُلك“. ولما سمع أرسانيوس هذا من ثيودوسيوس، فرح أنه وجد إنساناً محباً لله، ولازمه. فدعى (الملك) الأميرين، أركاديوس وأونوريوس، ونزع تاجيهما من على رأسيهما وألقى بهما على الأرض، وسلمهما له، ثم قال له: ”ها إني أستودعك ولديّ كأناس عاديين وليس كملوك، فعلمهما حسب (ما يرضي) الله“. أما أرسانيوس فكان يُدرّس للأميرين وهما جالسان، بينما هو واقفٌ أو يخدم [...]

[...] المملكة [...]. وكان ثيودوسيوس معتاداً أن يتكلم وولدها يسمعان. ولما نميا، ذات يوم، عندما ذهبا إلى الكنيسة مع [...] هما [...] اعتادا أن يظلا [...]. كثيرة [...] معلمهما [...] بسبب الخوف من أبيه إذا مضى وترهب، بل بسبب الخوف من [...] معلمه. أما فيما يخص أركاديوس، كان هناك اهتماماً بالمملكة [...] بدون أرسانيوس [...].

[...] حتى يقتل معلمه أرسانيوس؛ لأنه عاقبه بشدة. ولكن الحرس أخبر

أرسانيوس بشأن المؤامرة. وبعد ثلاثة أيام أخذ ثلاثة هولوكتينوس (دينار) وذهب عند البحر، وكان عليه قميصه (فقط). وبينما هو نائم، أنزلوه إلى باطن إحدى السفن. ولم يكونوا يعرفونه، ظانين أنه يتبع أحد التجار من ركاب السفينة، وأقلعوا في نفس هذا اليوم. ولما رسوا عند شاطئ الإسكندرية، قفز (من السفينة)، ومضى إلى جبل نيتريا، وسكن هناك. وبعد أن فتشوا في كل مكان ولم يجده، حزن الملك كثيراً (لأنه) كان يتعزى به، وكان معتاداً أن يقضى الليل معه، يتحدثان من الأسفار المقدسة، أنفاس الله، عما هو نافع للمملكة.

الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير يأمر بهدم المعابد

وكان ثيودوسيوس محباً لله ويخشى وصاياه؛ لأنه في أول سنة من ملكه أمر بهدم معابد الأوثان. ولم يكن هذا الكلام للسمع فحسب (صورياً)، ولم يطق صبراً حتى هُدمت المعابد في كل مكان. وكان قسطنطين أيضاً قد أمر بهدمها، ولكن (الوثنيين) كانوا يمارسون العرافة سراً متى فارقوا الشوارع الرئيسية. أما هذا فلم يكف حتى هُدمت المعابد وكذلك الأوثان.

وكان (ثيودوسيوس) يحكم بكلمة الله، وكان يجتهد بكل قوة أن يرضي المسيح، كخادم مختار. واتخذ لابنه أركاديوس زوجة، التي هي ابنة [...].

الإمبراطور أركاديوس يبحث عن معلمه القديس أرسانيوس

[...] له: "سامحني، يا ولدي. أنت أبر منا جميعاً". وبعد أن حكم أركاديوس بمفرده، بعد موت أبيهما ثيودوسيوس، تذكر تربية معلمه الشماس أرسانيوس، وتذكر عناية تعليمه، فقال: "الآن على وجه الخصوص أحتاج إليه بجانب أكثر من أيام صباي". وكان قد لاحظ أن أباه ثيودوسيوس كثيراً ما كان يستشيريه، وكثيراً ما كانا يقضيان الليل مع بعضهما البعض. فبحث [...] فلما أعلموه أن أرسانيوس يقيم في جبل نيتريا، بعث إليه برسائل ملكية، طالباً منه كملاك، قائلاً: "ليتني أكون مستحقاً فقط أن أراك ثانية". فكتب أرسانيوس إليه، قائلاً: "لا ترهقني، فقد صرت رجلاً عجوزاً. ومع ذلك فما هو الذي لم تسمعه مني مما هو نافع لنفسك وبدنك ومملكته؟ ها إنني الآن أقول لك أيضاً: اسجد يومياً لمذبح المسيح، فهذا كافٍ لحفظ مملكته، وهو سوف يرشدك في كل

أمر لأجل خلاصك. فلا يوجد لك خلاص من نوع آخر سوى مذبح المسيح. ابق مع أولادك تحت ظل (حماية) هذا، كما بقي أبوك، فهذا يكفيك. لا تجزع، فالله معك من أجل صلوات أبيك“.

فلما تسلم أركاديوس رسائل معلمه، بَجَلَّهَا؛ لأنه تعرف على أسلوب معلمه وثقافته، و[صدر] عنه فيلاكتيريون (Φιλακτιριον) [..] على استبدادهم، وكان يُدعى هالاريكوس، وكان [..] وكان يسعى لطرده من الملك. ولكن هونوريوس كان متوكلاً على الله وابنه الوحيد الجنس يسوع المسيح وروحه القدس [..] ولم يرسل [..] غداً وكنت أنت جالساً لا تفعل شيئاً. لماذا لم توجه حشودك ولم تُظهر وجهك؟ فأجاب هونوريوس قائلاً: ”لست أنا الملك، بل يسوع هو الملك مكاني. أما أنا فمتسلح به. وإذا لم يرض بي، فبالتأكيد سوف يُسلم مملكته لمن يريد. أما أنا [..]“.

[..] يرسلون (الرسالة) إلى كل أنحاء مصر حتى بوابة (حدود) أسوان، شاكرًا الله وأباه، طالبًا من الشعب أن يصلي عنه، متحدًا في رسالته المملوءة إيمانًا بعلوم الأسفار المقدسة. هذه [..] مصر التي سلّمت لنا بواسطة الأسقف الأنبا ثيؤفيلس.

القديس يوحنا ذهبي الفم والملكة إدفوكسيا

وفي تلك الأيام كان يوحنا (ذهبي الفم) رئيساً لأساقفة القسطنطينية. وكان رجلاً وجيهاً عند الله، ممتلئاً من الإيمان والمعرفة والمحبة. وكان قد صار [..] ترك الرهبنة، وكان مملوءاً من التعليم الصالح جداً.

كذلك كتب رسالة نسكية إلى القديس ديمتريوس محب البرية (المتوحد)، وكتب أيضاً عن المرأة الكنعانية. كذلك كتب عن الأغنياء والفقراء، وكتب أيضاً عن الروح، وكذلك عن [..] داود ونجاحاته وزلاته وقيامه من السقوط، قائلاً له: ”يا داود، ما هذا الذي تقوله: ’كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي، لكن لم يقدروا عليّ؟‘ (مز ١٢٩: ٢) لماذا لم يقدروا عليك؟“

[..] البطارقة؛ لأنهم لم يقدروا عليّ. أتكون هذه هي إرادة الشيطان أن

أسقط ثم أقوم، إن كان في استطاعته أن يقوى عليّ في سقطتي التي سقطت؟ (بل) هذا هو جُلُّ مراده. لكنه لم يقوَ عليّ؛ لأنني قدمت توبة، وقد قبلني الرب إليه. فماذا يعود عليه بالنفع أنه أرسلني؟ ها أنا ذا واقف أمام ربي، ولم يحسب عليّ سقطتي؛ لأنه إله [...] وذهبوا [...] الحق [...] لم يقووا عليّ؛ لأنني سقطت [...] بالأكثر [...] الصراع، حتى إن كنتُ قد سقطتُ مرة أخرى. ولكنني فطنت إلى شر إبليس أنه يريد أن يفصلني عن الله. ولكن هذا لن يكون، بل سأهرب نحو الله [...] سأمضي إليه؛ لأنه هو مستوجب أن [...] مداركنا عن كل ما هو مائت. [...] إلى الله؛ لأنني خاطئ بالكلية [...] لأنني لم أكن طاهراً [...] هذه الطريقة تماماً. فأنا ذاهب إليه، ليس من أجل [...] أبداً [...] بواسطته [...] لأن المقدس والمقدّسين جميعهم من واحد (عب ٢: ١١). لكن إن كان أحد يقول عن ذاته: 'أنا طاهر'، فهذا هو دخان غضب الله. فليس من الممكن أن يتطهر الإنسان [...] قد طهر. فهذا هو الله. وليس من الممكن أن نجاسة [...] الآب [...] أن يدنس، فالشيطان هو من ستستسلم [له].

[...] عاد مرة أخرى إلى حربه الأولى، التي هي هذه المرأة، التي استطاعت بمفردها أن تصنع شراً بهذا المقدار. لأن ملكة ذلك الزمان كانت ظالمة، ولم تسلك في تعليم زوجها الملك أركادايوس، ولكنها كانت تكنز الأموال بطرق كثيرة مقززة وشريرة. وكان كل واحد [...] على [...] يفعل [...] أخيراً [...] في [...] الذين تظلمهم (بنفسها) والذين يُظلمون باسمها (بتحريض منها).

وألف (يوحنا ذهبي الفم) عظات عن النساء الشريرات، حتى أن [...] تعديات قد صنعت باسمك. تذكرني الله. ترأى في بنفسك وإلا ستحل بك النوازل. ولست وحدك من ستعانين. ترأى في (بنفسك) من أجل أولادك. هذا لم يقبلها [...] أنت هو من يمقت حين يتكلم. ما شأنك بنفسك ونفس أولادي؟ أما يوحنا فقال لها: [...] هذه [...] كنيسة، وتحضري معنا القداس". ولكن الوجهاء والجنود كانوا يخشونها أكثر من الملك؛ لأن سلطانها كان قوياً من جهة أجدادها، ولم تكن تبالي بأحد [...] ليس في أيدينا. بعد ذلك فكروا مع بعضهم البعض، قائلين: "من الأفضل لنا أن نكدر إنساناً واحداً من أن نكدرها هي فنسب اضطراباً

للكنيسة في كل المدن“. وكانوا يتعجبون من عظم غضب (هذه) المرأة، وكيف أن الملك لا يمنعها ولا يسعى للحديث (معها)، بل [...] أهانوا الأخوة، ولم يستطيعوا أن ينظروا في وجهه. ولكن بسبب الخوف من الملكة أرسلوا إليه قائلين: ”أترك الكنيسة واعتزل عنا حتى نرى إن كانت الملكة ستوقف عن هذا الغضب العارم“. فقال: ”لو لم أكن قد قبلت قرار النفي [...] للكنة أذهباً إلى أي بلد“.

فأحاطت به جموع من السامعين وهم باكون. أما هو فأقامته الجموع، وعاد إلى الكنيسة. ثم تحدث في عظة قائلاً: ”لقد وقع الظلم بواسطة أحد البرابرة، حتى إنه أخذ مني عروسي، حمامتي الحسنة. فما هي الخطية التي صنعتها؟ وأي إنسان ظلمت؟ ليته يأتي فأعذر له“. فلما سمعت الملكة أنه بعدما قبل النفي، عاد مرة أخرى، وجلس على الكرسي، وأنه وعظ، أرسلت إلى المجمع قائلة: ”ما هو هذا أيضاً الذي يروق لكم؟ هل مسموح له أن يجلس على الكرسي وأن يعظ، في حين إنه [...]؟“

الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير

[...] ولم يكن له ولد في أيامه. من أجل هذا كان (ثيودوسيوس الصغير) حزين القلب. وكانت أخته بلخارية عذراء، وكانت تسكن معه في البلاط. وكانت هي التي تدبر الملكة مع زوجته. ولكن كان سلطان بلخارية يفوق سلطان زوجة الملك.

القديس كيرلس الكبير وتعاليمه

ولما استلم كيرلس رئيس الأساقفة رسائل السلامة من الملك، ابتدأ يعظ الجمع بضمه. وكانوا يأتون ويتعجبون من الحكمتين: حكمة الله غير المتزعزعة، وحكمة التعليم الديني. وكان يجتمع في قداسته مستمعون كثيرون، ليس محبو الله فحسب، بل أيضاً الآخرون الذين يريدون أن ينتفعوا من العظة. ولما استمعوا مرات عديدة إلى حكمته، تلك التي يظهر فيها المسيح، تضرعوا إليه لكي يأمر من لديهم القدرة من الكتابة أن يدونوها، وأن يتابعوا ما يقول، لكي يقدموا لهم نسخة من عظاته. و جعل كل واحدٍ من اللغويين كاتباً

يبقى أسفل كرسيه، حتى إنهم كانوا يحيطون (به) ويكتبون عنه في كل قداس. وهكذا أصبحت عظامه بالنسبة لهم فضلاً دراسياً دائماً في بيوتهم.

القديس كيرلس يقاوم مؤلفات يوليانوس

ولما تقدم، أخبره بعض الفلاسفة الذين أتوا إليه قائلين: "لدينا مقالات كان يوليانوس قد وضعها يشتم فيها موسى والأنبياء، ويعتبر المسيح (مجرد) إنسان، وقال (فيها) شتائم كثيرة على المسيحيين. وكنا نقرأها لبلاغتها؛ لأن حديثه كان فصيحاً جداً في (مجال) ثقافة الحكمة كما يليق بملك. ولكنه تجرأ وقال: 'سأجعل كلام هذا الجليلي كذباً، وأريه أنه لا شيء. لأنه قال: لن يُترك حجر على حجر في هيكل اليهود إلا ويُقَضَّ (مت ٢٤: ٢؛ مر ١٣: ٢؛ لو ٢١: ٦). ولكني أنا سأشيده، وأجعله بناءً ملوكياً، حتى يصير كلامه كذباً'. فهدمه وتركه خراباً، ثم مات، وجعل كلمة المخلص أكثر صدقاً. لأنه بهذا قد عرّف عنه أنه إله لا يسقط شيء من كلامه. لأنه حسناً قال: 'السماء والأرض تزولان (ولكن) كلامي لا يزول' " (مت ٢٤: ٣٥؛ مر ١٣: ٣١؛ لو ٢١: ٣٣).

ولما سمع القديس كيرلس هذا من الفلاسفة، اضطربت روحه جداً، وفكر ماذا عساه أن يصنع. فبحث ووجد مقالات عديدة ليوليانوس في مثل شر تلك التي لأوريجينوس وبروفيريوس الفيلسوف، بل أشر منها؛ لأن تلك كانت ذات لفة ركيكة، وعلى قدر فقرهم عبّروا عن فكرهم. لأنه لم يكن لهم السلطان لكي يشتموا مثل ذلك (يوليانوس)، إذ كان له سلطان الملك. وكل حماقة كان يلقيها الشيطان في قلبه كان يتحدث بها كملك. ولم يكن يخشى شيئاً؛ لأنه كان ملكاً لم يسكن الله في قلبه.

وبينما كان (كيرلس) يفكر في هذه (الأمور)، ظل يشاور نفسه أياماً طويلة قائلاً: "ماذا عساي أن أفعل؟ لأنك^(٩) لن تجدها (مقالات يوليانوس) في مكان واحد حتى أبذل مالاً فأخذها وأحرقها. ولكني سأرسل وأحصل على مال من الملك، وسوف أدحضها بنفسني وأجعلها تتلاشى، وأوبخه على إثمه؛ لأنه هو ذا

^٩ هنا يتحدث القديس كيرلس إلى نفسه.

اللَّهُ قد سبق فأهلكه من أجل آثامه“.

فلما أمعن (كيرلس) التفكير في ذلك، أرسل تقريراً إلى الملك مملوءاً من كرامة الحكمة. وقد ابتهج به الملك أكثر من كل مجد مُلكه، واستجاب لمطلبه التالي في التقرير: ”لأن يوليانوس قد تجرأ وفغر فاه ضد السماء، إذ لوى عنقه أمام الله، فمن أجل ذلك قد جلب العار على حُكم الرومان، لما ذهب إلى الحرب بعد أن جدف على الله. أما الآن فسوف أتكلم ضده، حسبما تجرأ على الله، وعمّا حدث له“. فمجدّ ثيودوسيوس إله آبائه، وشكر كيرلس على رسائله التقوية التي وصلتته، طالباً منه أن يصلي عنه وعن مملكته.

فلما تسلم كيرلس رسائل الملك فرح، ثم كتب (كيرلس)، بادئاً بالكتب المقدسة التي أبادت تجاديف يوليانوس الشرير، وأتى عليه باللائمة التي تمس النفس، وقال: ”لقد أهنّت حُكم الرومان، فأرسلك الله إلى الحرب مثل شاوول. ومنذ ذلك الوقت - لأن الرومان حكموا بالمسيح - لم يسقط ملكٌ منهم أبداً في الحرب إلا أنت؛ لأنك تركته، بالرغم من أنك أنت نفسك قد وقفت أمام مذبحه وخدمت (في الليتورجية) بنفسك أمام الرب. فأَيُّ شرٍّ رأيت في الكنيسة؟ لقد أحببت الظلمة أكثر من النور (يو ٣: ١٩). أحببت الشر أكثر من الخير، والظلم أكثر من كلام العدل. أحببت كلَّ كلام التهلكة واللسان الغاش. من أجل ذلك أهلكك الربُّ إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء. سيلاه (مز ٥٢: ٥-٣). لأنك لم ترَ يسوع أبداً. وأنا أقول: أنت مكرهة له، أو: لقد دانك مثل رؤساء الكهنة؛ لأنك لم تره في تواضعه. وأنا أقول: يا من لم تعرفه في حكمته مثل أولئك، ولكنك رأيتَه، وقد سجدت له كلُّ المسكونة. لقد عاينت لاهوته، وقد آمن به الكل. لقد أبصرت كنيسته وجمع الشهداء الذين ماتوا من أجله. لقد ارتعدت؛ لأنك لم تعرفه ولم تره قط. قد مارست الشر ضد ذلك الذي خلقك وخلق الكل. لم تتحنن على الذي صنع لك الخير وسببته بكلمات [...] وسننت لسانك ضد الله بشتائم كنت ستتجنب أن تقولها في وجه [...]“

[الكتاب الثاني عشر]

القديس كيرلس يبعث رسالة إلى نسطور

[...] قائلاً: ”الذي قام من الأموات، انظر كيف اعترف بالآلام التي احتملها جسد الله عنا^(١٠)، [قبل أن] يقوم من الأموات. انظر الحكمة المملوءة إيماناً بالرب يسوع المسيح ابن والدة الإله. هو ذا قد أرسلنا هذه [...] وسوف تجد [...] وتجد [...] لأننا لم نرد أن نسترسل أكثر في الحديث، حتى لا نبذو كما لو كنا نُعلمك، بل نعمل لمنفعتك كأخ. هو ذا قد أرسلت لك الإخوة، وطلبت منهم أن يبقوا عندك شهراً حتى تفحص الكتب، وسوف تجد هذه (الشهادات) مثبتة. ثم اكتب إلينا أنت أيضاً هكذا حتى نمتلئ مسرة. كن معافى في الرب“.

وأرسل القديس كيرلس هذه (الرسائل) إلى نسطور. فلما تسلمها، لم يقبل إليه الإخوة، ولا كتب لهم (رداً). وبعد شهر - كوصية أبيهم - عادوا إلى نسطور، فلم يدعهم يدخلون إليه؛ لأنه، بسبب بطله، قسى قلبه مثل فرعون الذي [...] كذلك تحدثا معه (ثيودوسيوس الصغير) لمرات عديدة قائلاً: ”لم نسمع معلمي الكنيسة يقولون هذا الكلام“.

ثم عاد الإخوة إلى القديس كيرلس وأخبروه بما حدث. حينئذ بحث كيرلس عن أسلحة الآباء الأوائل، أثناسيوس وألكسندروس، وتسربل بأسلحة أولئك الجنود. فأخذ ترس الإيمان (أف ٦: ١٦)، هذا الذي وضعه أبونا مرقس في الكنيسة، ومضى إلى المعركة رابط الجأش مثل داودا على [...]

القديس كيرلس يطلب من الإمبراطور ثيودوسيوس عقد مجمع مسكوني

أما هو [...] ”السلطان، وزينوا كنيسة العالم باعتراف حسن ومعرفة إنجيل الله، وأعانوا آباءنا الأساقفة ليصلوا من أجل سلطانهم. أما الآن فقد استهزئ نسطور، وقسم الكنيسة، ولم [...] عبدة الأصنام باعترافه أن المسيح مجرد إنسان. لو قال أيضاً إنه (المسيح) أقر بأنه نبي. كذلك لأبطل الذبيحة [...] هذا [...] لأنه بالحقيقة قد صار أنبياء كثيرون منذ الأزل، ولم يعبد آباؤنا أحداً منهم.

^{١٠} هكذا في الأصل القبطي، والمقصود الآلام التي احتملها المسيح عنا بالجسد.

فإن كان هذا يعبد المسيح على أنه إنسان فهو إذًا عابد وثن. لأن أبا المسيح لم يحتمل أن تُصنَع ثلاث مظال في العالم: واحدة للمخلص، وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا (مت ١٧: ١-٧؛ مر ٩: ٨-١؛ لو ٩: ٣٦-٢٨)؛ لأنه يعرف ابنه أنه الإله قبل الدهور، هذا الذي ولدته العذراء لخلّاص البشر. والآن نلتمس من جلالتك أن تأمر أن ينعقد مجمع كما فعل أبائنا عدة مرات من أجل تثبيت^(١١) العقائد المقدسة لخلّاص مملكتك. نحن نصلي لتكون مُعافياً، أيها الملك المحب لله

“[...]

هذه قرأها الملك كما لو أنها [...] له من الله. فأمر أن يجتمع الأساقفة في أفسس، ويفحصوا العقيدة المقدسة. أما رؤساء الأساقفة [...] واجتمعوا، وكانوا أكثر من [...] أسقف، كل واحد مع كهنته وشمامسته وكل الإكليروس. وانتظروا نسطور أياماً كثيرة [...] الملك [...]

كانديديانوس يعتقل القديس كيرلس والأساقفة ليرضي نسطور

أما نسطور فالتمس من (ثيودوسيوس الصغير) أن يرسل معه كانديديانوس البطريق ليحرسه [...] لأنه قال: ”هم أكثر مني، لئلا يقتلوني“. لأنه ظن أن آباءنا أناس مثل أهل العالم الأشرار الذين ينتقمون لأنفسهم. فلما وصل كانديديانوس، قبض في الحال على رئيس الأساقفة كيرلس وأساقفة آخرين معه، ورماهم في مخزن غلال مهجور مملوءاً قمحاً. فقال رئيس الأساقفة، أبونا كيرلس، للإخوة: ”ما هذا الذي يصطك تحت أرجلنا؟“ فجسوه وقالوا: ”يا أبانا، إنه قمح“. فأجاب القديس كيرلس وقال: ”مبارك الله الأب، هذا الذي أعطانا القوة، لأنهم حتى الآن قد حبسونا في بيت القوة“. وقد فعل كانديديانوس ذلك، معتقداً أن بقية الأساقفة سيخافون ويهربون، حتى يجد بذلك حجة (عليهم). ولكنه لم يعرف أنهم قد ذهبوا ليموتوا عن الإيمان مثل شهداء [...]. وبعد ثلاثة أيام، لما أيقن (كانديديانوس) أن ما فكر فيه لم يحدث، أطلقهم خوفاً من أن يسمع الملك (بذلك). ولكنه أرسل رجالاً إلى الطرقات في كل مكان حتى لا يحمل أحدٌ من رجالهم رسائل إلى

^{١١} تُقرأ τὰρο وليس τὰκο كما ورد في النص المنشور في 48²² p. 2, Vol. 2, *Storia della Chiesa*, Orlandi.

القسطنطينية. وقد فعل كانديديانوس ذلك حتى لا [...] الملك نسطور الشرير [...] ولما حلَّ يوم الأحد، قام كل الأساقفة [...]

مجمع أفسس يحرم نسطور

[...] الأساقفة [...] ولم يجتمع نسطور معهم. فتشاوروا وأرسلوا ثلاثة أساقفة إلى البيت الذي كان يسكن فيه (نسطور)، ودعوه إلى القداس. أما هو فلم يدهم يدخلون [...]. ولما أمضوا مساء الأحد [...] وفي الصباح وضعوا الأناجيل الأربعة في الوسط [...] وابتدأوا [...] وكان لكيرلس كاتب اسمه بطرس [...].

نسطور في طريقه إلى المنفى

”لقد تعب ربنا إذ مشى في وقت الساعة السادسة، ولم يرأف بنفسه إذ قبل الألام عنا وهو الإله“. فأجابه (نسطور) قائلاً: ”إن كان كل أساقفة المسكونة لم يستطيعوا أن يقنعوني أن أقول إن الله تألم، أتستطيع أنت العامي أن تقنعني؟“ فعمد البالاتينوس (قائد عسكري) أن يأخذه إلى الواحة بمساعدة حاكم (مقاطعة) طيبه. وسمع أن الماسجكس (البربر) قد دمروا الواحة، فتركه في حصن ”سينبلجه“، ووضعوه تحت الحراسة.

الأنبا شنوده رئيس المتوحدين يرفض عطايا نسطور

وبعد أن قضى (نسطور) سنوات طويلة في ذلك المكان، مرض بمرض عضال خبيث جداً، حتى إنه تورم كله وبيس، وظل يتألم أياماً كثيرة. وسمع عن الأنبا شنوده [...] لأنه كان نبياً، وناسكاً، ولاسماً الروح، ومعلماً، وملتصقاً، حتى إن صدقاته كانت تشمل كل الفقراء الذين كانوا يريدون أن يستعطوا منه، ولم يرفض أحداً طلب منه أن يعطيه، وكان يستجيب لطلباتهم، ويعطيهم أكثر مما كانوا يطلبون. ولما سمع نسطور عن هذا، أرسل إليه قائلاً: ”خذ أموالي وأعطها للفقراء“. أما القديس الأنبا شنوده فكان يعرف التجاديف التي كان يتقولها (نسطور): لأنه هو نفسه كان حاضراً المجمع الذي اجتمع في أفسس [...]. فقال الأنبا شنوده [...] أما نسطور فأجاب بصوت بائس وقال: ”أنا لن أقول أبداً إن الله مات“. فقال الأنبا شنوده: ”إن كنتَ لن تقتنع بواسطتي أن تعترف بالله، ولا أنا سأقتنع بواسطتك أن آخذ منك شيئاً، فلتكن محروماً أنت ومالك“. ثم تركه

ورحل إلى دير. ومع ذلك أرسل (نسطور) إلى أنتينوبوليس ودعى كاييساريوس البطريق؛ لأنه كان صديقاً لأبينا (الأنبا شنوده). فقال (كاييساريوس) له (للأنبا شنوده) أيضاً أن ليأخذ أمواله، ولكنه أجاب أيضاً بنفس الجواب. ثم مات نسطور في بؤس [...]. واقتسموا (أمواله) بينهم. وقد شهد عن ذلك أنه لم يمت أحدٌ منهم، ممن أخذ شيئاً من أمواله، إلا وأصبح يستعطي الصدقة حتى مماته. هذا ما حدث بشأن نسطور.

نياحة القديس كيرلس، وجلوس البابا ديسقورس، وعقد مجمع خلقيدونية
ورقد كيرلس رئيس الأساقفة بشيخوخة صالحة، وتولى ديسقورس رئاسة
الأساقفة عشر سنوات.

ثم رقد الملك ثيودوسيوس (الصغير) عند آبائه، وخلف أخته بلغاريا ملكة؛
لأنه لم يكن له ولدٌ ذكر. لأن فالينتينوس ملك روما كان متزوجاً من ابنته. ولم
يدم ذلك طويلاً - لأنه كان محارباً قوياً - فتأمروا عليه وقتلوه. وبذلك صار الملك
لبلغاريا وحدها. وبمشورة الناس تزوجت مرقيان وجعلته ملكاً.

وكان (مرقيان) هذا معتقاً لهرطقة نسطور، وسعى لتوطيد شر نسطور
بواسطة سلطان الملك، وأقسم بأن يحقق للمسكونة خيرات عظيمة. فحلَّ
الجمارك في كل مكان، ولم تُأخذ أي جمارك في كل الموانئ، بل كانت
ترسو السفن في كل مكان بلا عائق. لأنه قال: "لا يجب على المساعدين أن
يذهبوا للقري، بل يذهب "الباجارخوس" من كل مكان، ويأخذون رسومهم،
ويعطونها لـ "البيتروبولس" في كل مقاطعة"^(١٢). كذلك وعد صراحة أن يفعل
إنجازات أخرى عديدة، فقط على أن يطيعوه في هرطقته الشريرة.

يوفينال أسقف أورشليم يذهب لمجمع خلقيدونية
فجمع حشداً من الأساقفة في خلقيدونية. وكان عددهم يربو على خمسمائة
[...]. ديسقورس رئيس أساقفة الإسكندرية ويوفينال يوس الأورشليمي (يوفينال)،
هذا الذي كان مع كيرلس في المجمع الذي انعقد في أفسس. ولما أتى هذا

^{١٢} الباجارخوس والبيتروبولس كانت ألقاباً لوظائف إدارية في الحكومة البيزنطية.

خارجاً من أورشليم، اجتمع إليه رؤساء أديرة جبل الزيتون وما حوالي صهيون ورؤساء الأديرة العظماء لابسى الروح القربية منهم، وقالوا له: "لا تذهب إلى هذا المجمع، فلقد سمعنا أن مرقيان نسطوري، ولا نريدك أن تجتمع معهم. لأن ما يحدث هو خديعة، أيها البابا". أما يوبيناليوس فقال لهم: "حتى لو ذهبتُ، فلن أسمح (لنفسى) أن أفرط في الإيمان، ولا في صداقة القديس كيرلس". ثم [أقسم] لهم [ألا يجتمع] مع المجمع الذي سينعقد في خلقيدونية^(١٣). ولما [...]

البابا ديسقورس يرفض قرارات مجمع خلقيدونية

[...] مرقيان [الملك] [...] تجاديف، وأدان القديس كيرلس، وألغى فصوله (حروماته) الاثني عشر، وأذاع تلك (العقائد) التي لنسطور، وفرضها بسطان الملك، حالما ثبت أقدامه (في الملك)، وألقى خطاباً مطولاً مملوءاً من التجاديف، تلك التي أمر أن تُكتب في بروتوكولات حتى يوقع عليها الأساقفة. أما القديس ديسقورس فعارض قائلاً: "هذا الكلام منفر ومخالف للإيمان الأرثوذكسي النيقى [...]".

[...] نسطور الشرير، تلك التي نقضها أبونا كيرلس في أفسس. ولما استمر في المعارضة، ومقاومة الملك، وقول الحق، لطمه الملك مرقيان، وسلمه للجنود ليتحفظوا عليه. ولما أخذوه، اقتادوه إلى المنفى. أما بقية الأساقفة ويوبيناليوس فضمتوا، ووقعوا فوراً على الطومس. كذلك يوبيناليوس وقع أيضاً.

رفض شعب أورشليم لأسقفه بسبب قبوله مجمع خلقيدونية

ولما رجع (يوبيناليوس) هذا إلى أورشليم، ذهب إليه جمعٌ من الرهبان، ومنعوه، ولم يتركوه يدخل المدينة، قائلين: "لقد فرطت في الإيمان. لقد ذهبتُ ملاًً وعدتُ خاوياً". أما هو فلما رأى [...] الملك [...] أورشليم. ثم قتل الذين كانوا قد قاوموه حتى صار مذنباً في دم أناس كثيرين. ولما دخل [إلى أورشليم]، هجم [مثل طاغية]. حتى [الرهبان القديسين] امتنعوا أن يصلوا [معهم] القديس كاسقف،

^{١٣} الترجمة هنا حسب تكملة Johnson للنص القبطي، غير أن اقتراحه في تكملة النص غير منطقي من الوجهة التاريخية؛ لأن يوبيناليوس شارك بالفعل في مجمع خلقيدونية. ولكن يمكن تكملة النص بما ترجمته: "ثم [تركهم] [ليحضر] المجمع الذي سينعقد في خلقيدونية".

ولم يعودوا يقبلون منه السيامة منذ أن فعل ذلك.

بروتيريوس يقبل مجمع خلقيدونية، واستشهاد القديس مكاربيوس أسقف إدكو وأرسل مرقيان الملك الطومس إلى الإسكندرية قائلاً: "من سيوقع أولاً (على الطومس) هو الذي سيجلس على الكرسي، ويصير رئيس الأساقفة". وفي تلك الأيام كان يوجد مقدم للكهنه، شخص يدعى بروتيريوس، وكان مدبراً [...] وحده قائلاً: "من سيجلس على كرسي يكون محروماً". أما هذا فسبق ووقع طومس خلقيدونية، ذلك الذي وقع مرقيان [...] إلى مدينة أفسس. أما هو [...] فأجاب [...] وقال [...] الطومس [...] أقسم [...] مات مكاربيوس أسقف إتكو [...]. حينئذ لفوا جسده وكفنوه في ثياب حريرية، ودفنوه بجوار رفات يوحنا المعمدان [...] أنهم سوف [...] الكنيسة، ولكنهم بقوا بسبب أمر الملك مرقيان. وانتظر (بروتيريوس) في الكنيسة، فلم يُصلِّ معه أحدٌ القُداس، في حين كان الجنود يقومون بحراسته. بعد ذلك مات مرقيان ذات ليلة بدون مرض. فلما سمع الإسكندريون (بذلك)، أحاطوا بالكنيسة ليحرقوها على بروتيريوس. ولما طردهم حاكم الإسكندرية، ذهب إليه وقال له: "سوف تبقى [...]"

بعض شعب الإسكندرية يقتل بروتيريوس

[...] قال لهم [...] سألمهم: "وما شأنكم بالكنيسة؟" فوثب عليه الجمع، وجروه، وطعنوه، وأحضره إلى وسط التيترايولون الكبير، وشدوه حتى تمزق [...]. ثم تركوه [...]. وفي النهاية [...] نار [...] ثم جمعوا رماده، ودفنوه في المكان الذي تُدفن فيه النفائات. هذا ما حدث بشأن بروتيريوس. ولما مضوا لكي يسلموا أماكن الكنيسة لمن سيحرسونها، وجدوا امرأة في الداخل ليست من [...]. بل من جنس العرب. فتركوها تمضي [...].

نياحة القديس ديسقورس وجلس البابا تيموثاوس إيلوروس

ولما كان ديسقورس يحتضر في المنفى، تحدث بشأن تيموثاوس أن يجعلوه أسقفًا مكانه. وهذا كان رجلاً تقياً، مملوءاً من معرفة الله، وكانت عنده محبة للإيمان الأرثوذكسي. فلما جلس (تيموثاوس الثاني) على الكرسي، صار رئيساً لأساقفة الإسكندرية. وصار لاون ملكاً بعد مرقيان. وهذا كان [...].

وأرسل إلى القديس تيموثاوس قائلاً: ”إذا كنت تريد أن تبقى على كرسيك [...]“ [...] أرسله إلى المنفى، وأجلس بشوي أسقفًا. هذا التيموثاوس الآخر [...] في مملكة لاون. وكان جمع غفير يصلي معه القداس لعلمهم أنه أرثوذكسي. كذلك لم يُصلِّ كثيرون معه، ليس بسبب العقيدة، بل لأنه جلس على كرسي تيموثاوس رئيس الأساقفة وهو حي. فأرسل بشوي، الذي هو تيموثاوس، إلى القديس تيموثاوس هدايا كثيرة في المنفى، وأقرَّ قائلاً: ”أنت صاحب الكرسي، وأنا خاضع لك“.

مؤلفات البابا تيموثاوس الثاني

وفي المنفى ألف تيموثاوس خمسمائة واثنتي عشرة مقالة مدونة في مجلدين، وتحدث (فيها) عن آيات كثيرة في الكتاب المقدس، وفسرها ببراعة. كذلك كتب عن طومس مجمع خلقيدونية، وكشف تجاديفه، واستعرض أدلة (الطومس) والحجج المضادة، مقاومًا المعرفة المزيفة. وكتب أيضًا عن سفر نشيد الأناشيد، وكتب عن مجمع خلقيدونية، قائلاً: ”إنه من الواجب بعد سبع سنين أن يعلم الجميع عنه أنه قدر ودنس مثل الأغنيات الداعرة الدنسة. لأن الملك الذي بلا إله تجرأ وقال عن المسيح يسوع، هذا الواحد غير المنقسم، أنه طبيعتان. وفي بعض المرات قال إنه إله، ومرات أخرى إنه إنسان، معتقدًا بهذا أنه يتكلم بحكمة عظيمة، غير عالم أنه لا توجد طبيعة تربط خالق الطبائع، فهو الذي يربط الكل، ما في السماء وما على الأرض. أما هو فليس خاضعًا ألبتة لأي طبيعة أو قيد“.

هذا ما وضحه القديس تيموثاوس، رافضاً مجمع خلقيدونية النجس، قائلاً: ”قد تنبأ إشعيا النبي عليه، وقال إنه محروم، حتى قبل أن يأتي ابن الله إلى العالم: ’ولولي يا سفن خلقيدونية، لأن قلاعك قد أخرجت‘ (إش ٢٣: ١٤). لأن سيد كل أسقف هو الإيمان المقدس بالمسيح يسوع، الإله الحقيقي، ذلك (الإيمان) الذي أفسده الذين وقَّعوا على طومس خلقيدونية، بأن سمحوا أن يقال إن المسيح خضع لطبائع. المسيح الذي يعلو على كل طبيعة، وكل هوى، وكل اسم يُسمَّى، ليس فقط على الأرض، بل أيضًا في السموات (أف ١: ٢١)،

الكائن عن يمين العظمة في الأعلى (عب ١ : ٣)، الذي يحول النار ماءً والماء ناراً. فأين هي إذن سيادة الطبائع؟ لأنه لا توجد سيادة سوى ما حدده لها الله. لأنه بالحقيقة (مكتوب) في الناموس إن الرب جعل النار والماء مؤثرة في قمة الشجرة والزروع بواسطة الصقيع. فلم تنطفئ النار بالماء، ولم ينشف الماء من النار (خر ٩ : ٢٤). لأن كل ما يريده هو يطيعه ويكمل بأمره في [...]’.

وبشوي، الذي هو تيموثاوس، ساس الكنيسة طيلة أيام لاون الملك. ولما مات، ملك باسيليكوس أخو زوجته، وأرسل حالاً إلى تيموثاوس، وأقره على كرسيه. أما بشوي [...] في دير ميطنونيا. ولما هرب باسيليكوس من المملكة، ملك زينون [...] على كرسي الإسكندرية، وجعل الأديرة تحت سلطة تيموثاوس. وتتيح بشوي على الكرسي، لأنه هو أيضاً كان أرثوذكسياً. ولما مات، أجلس كل الإكليروس ورؤساء الأديرة وكافة الشعب تيموثاوس على الكرسي.

نهاية النص

والآن، قد انتهت كل الانقسامات في الكنيسة [...] مرة أخرى [...] ولم تحدث أي أزمة بعد [...]. بل عم السلام بين كافة الشعوب التي تمقت طومس خلقيدونية [...].

[...] غير المفترق. بالنعمة ومحبة البشر التي لربنا وإلها ومخلصنا يسوع المسيح. هذا الذي يليق به كل مجد، مع أبيه الصالح والروح القدس المحيي الكل والمساوي، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها. آمين.